مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

تقرير الندوة الرابعة
مختبر التنمية الثقافية

مكانة المفكرين الخليجيين بين المفكرين العرب: من الأطروحات إلى التنظير

د. شرف المزعل
مشرفة مختبر التنمية الثقافية

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

عقدت هذه الندوة بتاريخ 2023/10/31م وتمثل الضيوف المشاركون في كل من:

1. د. سعيد السريحي من السعودية، وهو مدير إدارة تطوير المحتوى في الهيئة الملكية لمدينة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.
2. أ. بدر العبري من سلطنة عمان، وهو باحث شؤون شرعية بوزارة الأوقاف العمانية، وعضو النادي الثقافي العماني.

أهم ما طرح ودار في هذه الندوة:

بعد ترحيب الدكتور زيد الفضيل – مدير البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث – بمشرفة الندوة الدكتورة شرف المزعل، وبحضور كل من الدكتور سعيد السريحي والأستاذ بدر العبري، قدمت الدكتورة شرف المزعل الأعضاء، واستهلت اللقاء قائلة: إن عقولنا هي أدوات لإنتاج أفكارنا، وإن مجمل الرؤى للأفكار والتصورات في تواصلها مع الممارسة العملية تصنع واقعنا، ومن ملاحظاتنا الميدانية تنبثق المبادئ والنظريات التي تفسر الواقع، ويتم صياغة الفرضيات، وتبتكر الحلول من أجل تغيير واقعنا إلى الأفضل.

ورغم أن وطننا العربي يزخر بالعديد من المفكرين اللامعين، من أمثال: محمد أركون، ومحمد عابد الجابري، ومحمد شحرور، وجورج طرابيشي، وفراس السواح، وعبد الله العروي، وفالح عبد الجبار وغيرهم من المفكرين، إلا إننا نلاحظ شبه غياب للمفكرين الخليجيين الذين نتوقع منهم أن يطرحوا نظريات وأفكار ورؤى تلامس الواقع الخليجي، وتعكس تعقيدات الوجود الإنساني. ومن هنا تظهر الحاجة إلى سبر أغوار العقلية الخليجية المفكرة من خلال هذه الندوة مع الاعتراف بوجود محاولات خجولة لمثقفين وأكاديميين يبرق وجودهم في لحظات ثقافية خاطفة، ثم يغيبون عن الأنظار.

وشملت هذه الندوة أربعة محاور رئيسية، وجاءت بالتسلسل التالي:

1. أسباب ضعف الإنتاج الفكري الخليجي قياسا للمنجز الفكري العربي.
2. مدى مساهمة المفكرين الخليجيين في أطروحات الفكر العربي.
3. مبررات انقطاع المفكرين الخليجيين عن مراكمة الإنتاج الفكري خلافا لأقرانهم المفكرين العرب.
4. التحديات التي تواجه المفكرين الخليجيين لتعزيز مكانتهم الفكرية على الصعيد العربي.

وبدأت الندوة بالحديث عن المحور الأول، حيث جاءت مداخلة الدكتور سعيد السريحي بعد شكره للمركز وللقائمين على الندوة، وعلق الدكتور السريحي على عنوان الندوة مشيرا إلى أن الحديث عن

"مثقف عربي مقابل مثقف خليجي" من شأنه أن يشكل حالة عزل للمفكر الخليجي عن إطار الفكر العربي، وأن يفضي إلى ضرب من القطيعة الثقافية خاصة حين يتم اعتماد تكتلات سياسية كقاعدة للتمايز الثقافي بين مثقفين ينتمون للخليج وآخرون ينتمون لبقية الدول، لذا فإن علينا أن ندرك أن إرثنا العربي الثقافي عابر للدول والتكتلات السياسية.

وحين وقف الدكتور السريحي على أسباب عدم حضور المثقف الخليجي في المشهد الثقافي العربي أعاد ذلك إلى أن المثقفين العرب يمتلكون قاعدة ثقافية تتمثل في المؤسسات والحواضن الثقافية في بلدانهم، وهي مؤسسات عريقة تقابله مؤسسات وحواضن حديثة النشأة في دول الخليج، ولذلك فإن المقايسة والتثمين لا تتم بين مثقف ومثقف آخر فحسب، بل بين حاضنة وحاضنة أخرى، فالمثقف لا ينفصل عن المؤسسة الثقافية الحاضنة له؛ ونعني بالمؤسسة الثقافية هنا القيمة الاعتبارية للمؤسسات التي تعنى بالجانب الثقافي من وزارات، واتحادات، وجامعات، وجمعيات وكل ما يحيط بالمثقف، فهو مشمول بواقع متجذر؛ ولا نعني بذلك انتساب المثقف كعضو في مؤسسة ثقافية، لذا فإن الدكتور السريحي يتبني عنوانا آخر للندوة، مثل: "لماذا المثقف الخليجي ليس له نفس الحواضن التي للمثقف العربي؟".

كما إن الدكتور السريحي يجد للجهاز الإعلامي الدور الكبير في إبراز منجزات المثقف، وكذلك المؤسسات كدور الطباعة والنشر والتوزيع، التي لها الأثر البالغ في اتساع رقعة المنجز للمثقف، وعلينا أن نتذكر الدور الفاعل الذي لعبته بعض المجلات في منطقة الخليج، مثل: "مجلة العربي" الكويتية، التي حملت صوت المثقف الخليجي إلى أقطار العالم العربي، وكذلك "مجلة الندوة" لسيف الرحبي، والتي قدمت الشاعر العماني للعالم العربي، وكما هي تجربة "مجلة علامات"، التي كانت تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة، وكيف استطاعت أن تحمل صوت الناقد السعودي إلى بقية الدول العربية، فنحن إذًا أمام تجارب استطاعت كسر دوائر الحصار عن المثقف العربي.

ثم انتقل الحديث إلى الأستاذ بدر العبري، الذي استهل مداخلته بعدة تساؤلات، وهي:

- ما هو تعريف المفكر؟
- هل هو بالمعني التخصصي الدقيق أو بالمعنى الشمولي كما يستخدم في أغلب الأحيان؟ أو إنه تعريف لمفهوم المثقف كما طرحه الدكتور السريحي؟

ويرى الأستاذ العبري إنه يجب مراعاة باكورة حضور الفكر في دول الخليج الذي بدأ في الخمسينيات والستينيات (كانت فترة حديثة لتشكل الفكر)، وقد مثلت البحرين الريادة في بلورة الفكر الخليجي،

وتبرز "مجلة صوت البحرين"، التي كانت تصدر في الخمسينيات كصوت للمفكر الخليجي والعربي، حيث اتسمت البحرين بمساحة من الحرية الدينية، وكذلك بالنسبة للمهاجرين العمانيين لمصر، حيث كونوا لأنفسهم مجتمعا عربيا متصلا بالحراك الثقافي هناك، وكان لهم حضوره الخاص مع بدايات الفكر العربي وخصوصا في مصر، بل دعم سلاطينهم بعض المجلات ماديا، مثل: "مجلة المنار" و"مجلة المحروسة" وكذلك "مجلة الهلال"، كما برز علي المرزوقي كمفكر يساري مؤثر من أصول عمانية، وكانت هناك أيضا هجرة للمفكرين الخليجيين لكل من العراق ومصر، وأيضا هجرة عكسية من مفكرين عرب لدول الخليج العربي، وهؤلاء ساهموا في إثراء الساحة الثقافية في الخليج.

وتبعا لذلك، يلاحظ الأستاذ العبري في الحديث عن انحسار المنجز الخليجي، الذي بدأ لاحقا ببروز الجانب الديني على الفكر الفلسفي والنقدي، خصوصا عندما استخدم لمواجهة المد اليساري، وقد انعكس ذلك على البعد الثقافي والسياسي والاجتماعي أيضا، كما أن تضييق حرية النقد والحس الفلسفي قد ترك أثرا كبيرا على انحسار المنجز الخليجي، وهذا الأمر لا يزال مستمرا حتى الآن في بعض جوانبه.

وانتقل الحديث إلى المحور الثاني، حيث اعترف الدكتور السريحي بالواقع تقريبا أنه لا نكاد نجد مفكرا خليجيا، واتفق الدكتور السريحي مع الأستاذ العبري في الأسباب التي طرحها سابقا؛ حيث إن ضيق هامش الحريات وسيطرة الفكر الأيديولوجي المتشدد الذي عمل على مصادرة الفكر من ناحية، بل ومحاربته وتشويهه من ناحية أخرى، قد دفع المفكرين الخليجيين إلى التواري تفاديا للتصادم مع التيار الديني الصارم.

وفي ذات السياق، توارد للدكتورة المزعل في خاطرها سؤالا: ألم يكن المثقف الخليجي (في ظل غياب المؤسسة الحاضنة لفكره) قادرا رغم ذلك على مراكمة المنتج الفكري، وتوجيهه لتفكيك واقعه المجتمعي بهدف تطويره عن طريق إعادة تفسيره بعد معالجة الفرضيات التي تنقل واقعه من حالته الراكدة إلى تحريك الثوابت بهدف التنمية والتقدم؟

ليرد الأستاذ العبري على السؤال ويتفق مع الدكتور السريحي في مسألة غياب المؤسسة الحاضنة للمثقف الخليجي، كما يتفق أيضا بشأن ضعف تلك الحواضن المؤسسية للمثقف في الوطن العربي، هذا بالرغم من الوضع الاقتصادي الجيد في الخليج العربي، ولا يجد الأستاذ العبري إلا قليلا من الصور الفكرية عندنا، مثل: "دار المسبار"، كما يجد الأستاذ العبري أن السياسة تلعب الدور الأبرز في ضمور المثقفين الخليجيين عند التصادم التقليدي بين السياسة والثقافة، كما أن صوت السياسة هو الأقوى في الساحة الخليجية، وكذلك يعزو الأستاذ العبري تواضع المنجز لدى المفكرين الخليجيين إلى قلة

الكثافة السكانية؛ فباستثناء المملكة العربية السعودية، فإننا نجد أن عدد سكان بقية دول الخليج العربي متواضع جدا، وهذا عامل مؤثر في حجم الإنجاز الفكري خصوصا بمقارنة الكثافة السكانية مع شعوب البلدان العربية موضع الدراسة، حيث تغيب الدراسات التفكيكية والنظريات فعلا من بين المنجز المتوفر لدى المثقفين والمفكرين الخليجيين.

ثم انتقل الحديث للمحور الثالث، حيث يشير الدكتور السريحي إلى أن السبب انقطاع المفكرين الخليجيين عن مراكمة الإنتاج الفكري خلافا لأقرانهم المفكرين العرب، هو الافتقار إلى البنية الحوارية بين الكاتب والقارئ، وكذلك بين المفكر والمفكر الآخر، حيث تشكل هذه البنية الداعم الأساسي للاستمرار، ويلاحظ احتفاء الإعلام بمثقف في وقت طرح منجز له، ولكن محاورة صاحب المنجز تختفي من المشهد الثقافي، وكذلك ما ذكره الأستاذ العبري من انشغال المثقف بترف الحياة التي ولدتها الطفرة الاقتصادية في منطقة الخليج العربي.

وفي المقابل، يؤكد الأستاذ العبري على بروز بعض الرموز التي مثلت الفكر الخليجي العربي خير تمثيل بالرغم من الاتفاق على قلة النخبة الفكرية في المنطقة، ومع ذلك نحن بحاجة لمساحة أكبر من الحرية لإتاحة المناخ الأمثل لبروز الفكر الخاص بهذه المنطقة الجغرافية، ويلاحظ الأستاذ العبري في العصر الحالي تعدد موارد المعرفة التي يتم نهلها من المواقع الافتراضية الثقافية والكتب الالكترونية، والتي تتزايد من خلالها المساحة للفرد، مع مزاحمة الذكاء الاصطناعي في الساحة الثقافية.

ومن هذا المنطلق، فإن المفكرين الخليجيين بحاجة للانتقال من الدراسات الاحتفائية إلى الدراسات النقدية، حيث يلاحظ ضعف الدراسات النقدية التي تسهم في تطوير المجتمع، كما أشار الأستاذ العبري إلى ضرورة فصل المثقف عن السياسة؛ ليس بمعنى التصادم، وإنما بمعني الاستقلال (يصفه الأستاذ العبري) عقلا حرا في توجيه الانتقاد.

واختتمت الندوة بالمحور الرابع الذي تناول التحديات التي تواجه المفكرين الخليجيين لتعزيز مكانتهم الفكرية على الصعيد العربي، حيث يرى الدكتور السريحي إنه لا يمكن أن يكون هناك فكر بدون توفير مساحات للحرية الفكرية، وكذلك هناك الحاجة للشجاعة؛ لإن حرية الفكر وحدها لا تكفي في حين إن رهان المفكر في اجتراح المناطق الخطرة في الفكر بعيدا عن ترهيب السياسة والمجتمع له، وكذلك شجاعته في مواجهة احتمالات الوقوع في الخطأ، بالإضافة إلى توفير الحاجة لمجتمع يتقبل الآخر المختلف.

وفي واقع الحال، تساءلت الدكتورة المزعل حول ما هي المسافة بيننا وبين اجتياز هذه التحديات؟

ليرد الدكتور السريحي بإننا نحتاج إلى المضي قدما فيما نشهده من هامش للحرية وانفتاح على الفكر العالمي إلى مراكمة هذه الخطوات، فلا شيء يحدث بشكل مفاجئ، والتفكير عمل تراكمي، ولن تطول المسافة ما لم تحدث نكسات في مجال التفكير في دول الخليج العربي.

بينما يجد الأستاذ العبري أنه لمن الضروري أن يتم تعزيز الثقة بالذات لدى المفكر الخليجي (وهذا عامل مهم)، وكذلك ضرورة تأمين الدعم السياسي والمادي والمجتمعي للمثقف، كما أن نشر الوعي بتعددية الأفكار في المجتمع وقيمتها يمنح المجتمع صلابة أكثر، بل ويؤثر على جوانب أخرى في إدارة الدولة.

أبرز التوصيات الصادرة عن الندوة:

1. توسيع التلاقح الفكري بين أبناء الخليج في ظل تعدد الثقافات.
2. الانصات للآخر وتوسيع العملية البحثية.
3. رفع العزلة بين المفكرين الخليجيين بإقامة المزيد من المنتديات الفكرية.
4. منح المثقفين المفكرين تفرغا رسميا للعملية البحثية.
5. تجاوز الشللية بين المثقفين على أساس القبيلة، أو الطائفة، أو التوجه الفكري، أو الأيديولوجي.
6. التقرب من الجيل الجديد من المثقفين الخليجيين.
7. دعم المؤسسات الحاضنة للمثقفين.
8. تعليم الفلسفة في كل المؤسسات التعليمية في دول الخليج العربي.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز الخليج للأبحاث وشركة المعرفة